مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn:2602-5264 Issn: 2353-0499
المجلد 11/ العدد: 02 (2023)، ص: 1252-1270

الشعر السياسي وتوظيف الرموز الطبيعية عند تميم البرغوثي

Political poetry and the use of natural symbols by Tamim Al-Barghouti

زكرياء لخضاري [1] عبد القادر حاج علي [2]

[1] جامعة عبد الحميد بن باديس (مستغانم)،

zakaria.lakhdari.etu@univ-mosta.dz

[2] مخبر الدراسات اللغوية والأدبية في الجزائر من العهد التركي إلى نهاية القرن العشرين ،جامعة عبد الحميد بن باديس (مستغانم)، adr306@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/01/14 تاريخ القبول: 2023/09/12 تاريخ النشر: 2023/10/06

ملخص: الشعر في حد ذاته هو سياسة وارتباطه بها قديم قدم تاريخ الشعر العربي، ذلك أنه ينبني على موقف فكري محدد، ويسعى ليكون أداة لكسر القيود وتحقيق الحرية، وقد كان لتوظيف الرموز دور هام في فتح آفاق تعبيرية أكثر رحابة أمام هذا اللون من الشعر. تناولنا في دراستنا هذه مفهوم الشعر السياسي وعلاقته بتوظيف الرموز الطبيعية وما ينتج عن ذلك من دلالات عند الشاعر تميم البرغوثي، ومن الرموز الطبيعية التي قمنا بتحليلها: (الغزالة، الطير، الحمامة، السماء، الليل، الصبح ...)، فهو يشحن هذه الرموز بعواطفه ويصبغ عليها من ذاته، فالليل عنده مثلا رمز للمحتل الغاشم والصبح رمز للأمل الذي يبثه الشاعر في نفوس شعبه من أجل الخلاص من هذا المحتل .

كلمات مفتاحية: الشعر السياسي / الرمز توظيف الرموز الطبيعية / الرمز الرموز الطبيعية

Abstract: Poetry is politics, and their relationship is as old as the history of Arabic poetry Itself. This is mainly becausee poetry is based on a specific Intellectual position and seeks to stand as a tool for breaking the shackles of oppression and achieving

freedom. The use of natural symbols in political poetry allows for a better and more eloquent expression of meaning. This study aims to define political poetry and explores Its relationship to natural symbolism as well as Its significance In the poetry of Tamim Al-bargouthi. Among the natural symbols we analyze are the deer, the bird, the sky, the dove, night and morning, which the poet loads with strong emotions and political meaning. Night, for example, represents the brutal colonizer, and morning Is a symbol for the hope he attempt to instill in the souls of his people to face their colonizer.

Key words: political poetry – symbolism – natural symbols – significance of natural symbols

---

***المؤلف المرسل:** زكرياء لخضاري

. مقدمة

إن من أبرز ما يسيطر على واقعنا المعيش الآن تلك القضايا التي تتدخل فيها السياسة أو تتصل بها، لما للسياسية بوجه عام من دور في توجيه حياة الناس، وتعلق بنظم عيشهم وتركيبة مجتمعاتهم، ولما لها من دخل في بناء حرياتهم وصناعة آمالهم أو خيباتهم . فوجه الحياة الآن صار من إفرازات هذه السياسة التي يتبناها عالمنا الحديث، والتي تشتمل على مفاهيم ومرتكزات جديدة لها أثرها المباشر أو غير المباشر على حياة الناس، وبالتالي انعكاساتها على الأدب الذي كان دائم الصلة بكل ما يحرك الحياة ويثيرها ويوجهها، ومنه فقد كان للشعر السياسي دوره الأساس في رصد انعكاسات هذه السياسة على الواقع، وبلورة ردات فعله تجاهها من خلال أسلوب قوامه الفن والجمال .

ومن أبرز ما يلاحظ في شعر تميم البرغوثي السياسي هو توظيفه لرموز الطبيعة توظيفا نقف من خلاله على خصوصية تجربته الشعرية وفرادتها .

1- مفهوم الشعر السياسي: الشعر السياسي هو ذلك الشعر الذي يدور حول السياسة وما يتصل بها من قضايا، ويتعامل معها وفق رؤيته الخاصة ومنطلقاته الفكرية والفنية المحددة، ويدور تعبيره حول ما تطرحه هذه القضايا على الصعيد الاجتماعي والفكري والثقافي لذا " فإن الشعر الذي يلامسها ويعبر عنها يسمى شعرا سياسيا، سواء تناول نظم الدولة الداخلية، أو مس مكانتها الخارجية بين الدول والأقطار، وسواء التزم جانبها ودافع عنها، أو وقف مناوئا لها ولأعمالها، وليس من الضروري في هذا الشعر أن يعبر عن رأي يقره المجتمع، فقد يكون الرأي خاصا بالشاعر أو بفئة قليلة ممن تنتظمهم تلك الدولة " (الوائلي، 1996) كذلك فإنه لا يخفى أن للشعر خصوصيته الفنية والجمالية فإنه " ليس من الضروري في الشعر السياسي أن يلتزم البراهين والتفاصيل، بل يكفيه أن يلمح ويوجز ويترك التفاصيل والجزئيات للتاريخ وللناس لأنه وليد العاطفة والخيال" (الوائلي، 1996).

إن هذا اللون من الشعر قديم بقدم الدول، حفل عبر تاريخه بملامح من التجديد لم يحفل بها غيره، وباتساع نطاق الدولة ونفوذها قد انتشر وتطور عبر مراحله المتعاقبة فهو الآن " يتجه إلى مقارعة النفوذ الأجنبي، والتنديد بالحكومة والإهابة بها أن تقوم بواجباتها، والتغني بالمجد التليد والعز الغابر، لاستثارة الهمم، والدعوة إلى الأخذ بأسباب العلم والحضارة للنهوض بالأمة، ولا ينسى آمال الشعب وأمانيه في مدائحه لرجال السياسة والحكم (...) ولا شك أن الظروف التي مرت بها البلاد، وكفاحها من أجل الحرية والتقدم، والوعي الفكري ويقظة الروح القومية، كل هذه كانت لها تأثيرات متباينة في خلق هذا الفن من الشعر" (الراوي، 1954) على هذا النحو، وكما أن لهذا الشعر مواقفا من السياسة ورأيا، فإن غاياته في الأصل ليس الحديث عن السياسة كسياسة فهذا من فعل السياسيين، وإنما الحديث عنها في سبيل نشدان واقع أفضل وأكثر صحية، وكتابة شعر يستثير

الهمم ويحفزها للنهوض بالأوطان، وعدم تخييب آمال الناس وتطلعاتهم في الأحقية ببناء حياة العدل والمساواة .

إن الشعر السياسي أو الأدب السياسي بشكل عام ينم دائما عن وجود صراع .. صراع بين الرئيس والمرؤوس، صراع الإيديولوجيات والتوجهات والأفكار والرؤى " فالسياسة تعني بالضرورة وجود الصراع واتفاق الرأي، وبدون الصراع لا تكون هناك أي حاجة إلى السياسة " (السعيد، 1998 ، صفحة 334) وهذا الصراع يقع ضمن نطاق ما يسمى الآن بالدولة " فالحياة الاجتماعية قد أصبحت ذات صلة وثقى بالأوضاع السياسية نتيجة اتساع واجبات الدولة تحت تأثير الاتجاهات السياسية الحديثة، لاسيما المذهب الديمقراطي الذي أخذ ينتشر بسرعة، وأصبحت الحكومات التي تقوم على نظم ديمقراطية تتدخل في كثير من الشؤون، كالتعليم والصحة وإيجاد العمل للعاطلين، ومن هنا أصبحت الدولة مسؤولة عن كثير من الأمور التي لم تكن في نطاق واجباتها بالأمس، فأخذ الشعراء يصلون هذه المشاكل الاجتماعية بوجود الدولة، فينعون عليها تفريطها في مثل هذه المسائل ويطلبون منها معالجة مثل هذه الأوضاع " . (الراوي، 1954، الصفحات 2-3)

والعالم العربي الآن قد أصبح تحت تأثير عوامل متعددة، تعكس تأثيراتها على الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية، وبدورها تنعكس هذه التأثيرات على الشعر الذي هو على صلة وثقى بالأوضاع المحيطة به، فيكون متجاوبا مع الأحداث وبالتالي يتسع نطاقه التعبيري بامتداد تدخل السياسة في الحياة الراهنة و الشعر في حد ذاته كفعل إبداعي هو سياسة بانبنائه على مواقف معينة، فهو لا يزال أداة لكسر القيود، والهروب من بطش السلطة، يندد بالاستعمار وينادي بالحرية، ويدعو إلى الديمقراطية والكفاح، ويشيد بالأبطال .

لقد كان الشاعر العربي عبر تاريخه مجبولا على السياسة، فهو لم يهنأ بالاستقرار إلا نادرا، وشهد النكسات المتعاقبة والاستعمار والاستبداد، وعانى من غياب الحريات، فكان الشعر صوته في وجه الظلام، وشمعته التي يستضيء بها في طريقه .

ونستشف من هذا الشعر نزعات بارزة فيه كالنزعة الوطنية والقومية والإنسانية، فالوطن عند الشاعر المعاصر ليس قطعة أرض فحسب ، بل هو الأم والحبيبة والمأوى " فالشعراء قاموا يتغنون بما يختلج في نفوسهم من عواطف وطنية في كثير من المناسبات، فهم يبثون الوطن آمالهم وأمانيهم، ولئن كان وطن ابن الرومي بالأمس بيته الذي اضطر إلى بيعه تحت عبء الدين، فإن الوطن لدى الشعراء المعاصرين هو الأرض التي تقوم عليها الدولة، وبعد أن كان الشاعر العربي بالأمس يناجي حبيبته في كل مناسبة، أصبح الوطن هو ليلى الشاعر الزهاوي، وحين تقرأ نجواه معه أصبح يخيل إليك أنه يناجي غادة هام بها حبا ووجدا، فما تنتهي من القصيدة، حتى تدرك أن الشاعر يخاطب وطنه الحبيب" (الراوي، 1954، صفحة 135) فالوطن هو ملجأ الشاعر ونجواه، وهو قطعة منه لا يرضى أن تمس، ومبتغاه دائما أن يكون وطنه عاليا بعيدا عمن يريدون به سوء، فهو يدافع عنه ويكشف مخططات المتربصين به .

وقد جعلت الأحداث التي ألمت بالعرب أيضا من استعمار وتدخل في شؤون أوطانهم يدركون أن النصر حليف اتحادهم وتعاونهم، وأن الهزيمة والخذلان مقرونان بتشتتهم وتفرقهم، وأنهم لابد أن يستغلوا رابطة التاريخ واللغة والدين وترابط الأرض فيما بينهم، وأنه ليس ثمة سبيل لدفعها، إلا بقيام وحدة قومية لرد الخطر المشترك . ولقد اجتاحت هذه النزعة " أقطار العالم بعد قيام الثورة الفرنسية، ويقظة الروح القومية في أوروبا، ولئن برزت هذه النزعة في الأدب العربي في العصر العباسي، فإنها كانت ذات أثر ضعيف في الشعر، وقد اتجهت

آنذاك إلى التفاضل بين العرب وغيرهم، استنادا إلى رابطة النسب، أما الآن فقد ظهرت في الشعر منطوية على الدعوة إلى توحيد كلمة العرب، والتعاون بينهم على أساس القومية " (السعيد، 1998)

الشعر السياسي في أغلبه عندما نقرؤه هو دعوة إلى عالم يكون فيه الإنسان أفضل، عالم إن فصلت بينه الوطنيات والقوميات فإنه يجمعه الإنسان – الإنسان منظورا إليه ككل - ومنه فقد برزت النزعة الإنسانية في هذا الشعر التي تدعو إلى السلم ونبذ الحرب، وإلى ضرورة التعايش وتقبل الاختلافات، وعدم التعدي على الغير والمساس بحقوقهم، وأن الإنسان يجب عليه أن يتعاون حتى يبني عالما أفضل .

إن لهذا الشعر طابعه الخاص ومقوماته، يرتبط بالحياة السياسية ويتناول قضاياها من زاوية شعرية، حتى يضمن لنفسه الخلود والتوهج، وحتى يكون أمينا لطبيعته، فنحن لا ننفي ارتباط الإيديولوجي بالجمالي، غير أنه ارتباط من دون إخلال بالجانب الفني، ذلك أن " صفة الإبداع عند الفنان أو الأديب لا تنفي عنه الرواسب والخلفيات المعرفية والسوسيوثقافية، فهو لا ينطلق من العدم في عمله الإبداعي، وإنما من جدلية الذات والموضوع " (جلايلية، 2011)

أما وظيفة الشعر فهو انتصار واستعادة للسيادة على الأسماء كما يخبرنا الشاعر تميم البرغوثي، فإن سمى المستعمر الخطوط والحواجز دولا، فالشاعر لا يراها كذلك، بل يراها أرضا واحدة يبصر فيها دائما أسباب التئامها واتحادها، ذلك أن الشعر في أصله هو محاولة لاستعادة الحرية .

يقول تميم البرغوثي " في السياسة ترسم الدبابات والهراوات اسم بلادي، وفي القصيدة أسميها ما أشاء، وكل سلطة غاشمة لا تكمل إلا في خيال المحكوم، والخيال يصنعه الكلام، والشعر أكفأ الكلام، لا أعني أن المرء يقول قصيدة

فينقلب العالم، ولكن خلخلة ولو بسيطة في بنية السلطة تتولد من كل جمال يتحداها

وإن النار بالعودين تذكى *** وإن الحرب أولها الكلام " (21:05، 2018)

2- توظيف الرمز في الشعر السياسي: إذا كان الأدب يستكنه خبايا النفس ويجنح نحو الاستبطان والكشف، ويتعامل في نطاق خصوصيته الفنية مع ما هو منفلت .. ومتجدد .. ومعقد .. وغامض .. ولا محدد، فإنه لا يسعه أن يعبر عن عوالمه إلا من خلال أدوات وعناصر تتيح له القدرة على الإيغال والكشف، ومن هذه العناصر لدينا الرمز، فالرمز وسيلة للتعبير عن الشحنات الانفعالية المعقدة، وهو ذلك " الإيحاء أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستمرة التي لا تقوم على أدائها اللغة في دلالاتها، فالرمز هو الصلة بين الذات والأشياء، بحيث تتولد المشاعر عن طريق الإثارة النفسية لا عن طريق التسمية والتصريح " (هلال، 1994) إذ لا يمكن للغة التقريرية المباشرة أن تعبر عن اللامباشر واللامحدود فكان الرمز بديلا موضوعيا يقصده الشاعر في سبيل نقل تجربته النفسية الخاصة ونقل اللغة من مستواها التواصلي إلى مستواها الإيحائي، " فالرمز من أبرز وسائل التصوير الشعرية التي ابتدعها الشاعر المعاصر عبر سعيه الدائب وراء اكتشاف وسائل تعبير لغوية، يثري بها لغته الشعرية، ويجعلها قادرة على الإيحاء بما يستعصي على التحديد والوصف من مشاعره وأحاسيسه وأبعاد رؤيته الشعرية المختلفة " (زايد، 1997)

أما عن أنواع الرموز فلدينا رموز عديدة في عالم الأدب والفن منها(الرمز الطبيعي .. والرمز التراثي والرمز التاريخي .. والرمز الأسطوري .. والرمز الديني وغيرها ...) وما يعنينا في دراستنا هو الرمز الطبيعي الذي يوظفه الشاعر تميم البرغوثي بشكل لافت في شعره السياسي للتعبير عن رؤاه وآرائه الفكرية والثقافية، ما يشكل سمة مفتاحية تمكننا من تحليل شعره وتفكيكه في ضوء ذلك، "

فالشاعر إذ يستمد رموزه من الطبيعة يخلع عليها من عواطفه ويصبغ عليها من ذاته ما يجعلها تنفث إشعاعات وتموجات تضج بالإيحاءات، فالشاعر لا ينظر إلى الطبيعة على أنها شيء مادي منفصل عنه، وإنما يراها امتدادا لكيانه، يتغذى من تجربته زيادة على ما تضفيه الأبعاد النفسية على الرمز من خصوصية يلعب السياق أيضا دورا في إذكاء إيحائيته " . (إقبال، 2008)

إن استخدام تميم البرغوثي للرموز الطبيعية بشكل لافت لم يكن اعتباطا، فهو فيذكر (الأشجار .. والقباب .. والسهول .. والسواقي .. والعصافير .. والورود .. والحجارة وغيرها) حتى ننغرس معه في أرضه كما ينغرس هو فيها وتصبح قضيته قضيتنا جميعا، فكأنه يستنهض عناصر الطبيعة ويجيشها لتقوم ضد المحتل الغاشم، وليكون لها دور في هذا الصراع القائم بين الفلسطينيين وأعداء الحياة، فهو يستلهم رموزه النضالية منها، وليكون دورها بأن تذكره دائما بأحقيته وأحقية الفلسطينيين في الأرض والحياة، ومن الرموز الطبيعية التي وظفها الشاعر:

2-1 الغزال: تردد كثيرا ذكر اسم الغزال وكذلك الضبي والمها في الشعر العربي القديم، فقد كانت المرأة الجميلة تشبه به، لرقته وجماله ورشاقته واتساع عيونه، فكان رمزا استعمله الشاعر المعاصر للدلالة على الرقة والجمال والعذوبة، ووظفه تميم البرغوثي كرمز جمالي كما أسلفنا ليكون نقيض القبح ونقيض الظلم والعدوان، فإن تكالبت الأعداء علينا بأسلحتهم وجيشهم وبالحقد المكنون في صدورهم، فلا ريب أن معنا ذاكرة الجمال التي نقاومهم بها، يقول الشاعر في قصيدته (يا هيبة العرش الخلي من الملوك):

" والعرش فوق غزالتين كأنما

دبت حياة فيهما

وجهاهما دفء يشي بالشمس

من قبل النهار

(...) وبدا على ساقيهما

قيدان قد جعلاهما

أحلى وأعلى مثل أهلي في الحصار" (البرغوثي، 2008)

في هذه الأبيات يذكر الشاعر أن العرش الخلي من الملوك والذين كيفما كانت طرقهم في الحكم فإنهم لابد أن يحكموا الناس بالعسكر والحديد، والأفضل من حكمهم هو حكم الجمال الذي يرمز له بتمثال الغزالتين الجميلتين الذين وجهاهما دفء يشي بالشمس، فالغزالتان ترمزان للشعب الفلسطيني ووداعته وسلميته، واستحقاقه أن يكون حرا وإن بدت القيود عليه وحوصر إلا أنه أحلى وأعلى على حد تعبيره، إن الشاعر ههنا يدعو إلى مقاومة بالجمال الذي يرسخه ارتباط الفلسطيني بأرضه وعناصر طبيعته فهو:

" مادح العرش الذي وقفت عليه غزالتان

تهدي عيونهما إلى الناس الأمان " (21:05، 2018، صفحة 29)

ويخاطب الشاعر الظبية ويجعلها كما أشرنا رمزا للأمان الذي يفتقده شعبه فيناديها:

" يا ظبيتي مهلا، تعالي وانظري، هذا فتى خرج الغداة ولم يصب

في كفه حلوى، يناديك اخرجي لا بأس يا هذي عليك من الخروج

ولتذكري أيام كنت طليقة،

تهدي خطاك النجم في عليائه، والله يعرف من خلالك " (البرغوثي، 2008، صفحة 60)

يدل استعمال الشاعر لأداة النداء على حلمه باستعادة واقع قد تغير ولم يعد حرا كما كان، فالظبية رمز الحياة قد أصبحت مستعبدة دلالة على أن شعب الشاعر مستعبد كذلك فهو يطالبه أن يتذكر أيام كان طليقا وحرا، فالظبية هي

حياته الآنفة الجميلة التي يجب عليها أن يستعديها، حياته التي كانت تضع في كفه الحلوى والتي كان الله حاضرا فيها ويعرف من خلالها .

لقد سعى الشاعر إلى بث روح المقاومة من خلال بثه الأمل في حياة النفوس وتذكيرهم بحريتهم وكيف كانت حياتهم طيبة بهية لاستنهاض هممهم ولعدم طمس تاريخهم الذي يحاول المحتل أن ينسيهم إياه، فهم أبدا أحرار وعليهم أن يبقوا كذلك .

ومهما أصاب الشعب الفلسطيني جراء المحتل إلا أن جانب الأمل والجمال والحرية التي ترمز له الظبية مازال يقاوم:

" يا أمتي يا ظبية في الغار تسألني وتلحف: هل سأنجو ؟

قلت: أنت سألتني من ألف عام . إن هذا جوابا عن سؤالك" (البرغوثي، 2008، صفحة 61)

فما دامت تقاوم هذه الذاكرة الجمالية لهذا الشعب منذ ألف عام ولم تسقط مع ما مر بها من أهوال ومحن، فإنها لا محالة ستظل تقاوم ولن يقف بها الأمر ههنا .

2-2 الطير: الطير كان دائما رمزا للحرية والانعتاق ورمزا للأعالي، ورمزا للسلم أيضا كما هو الحال مع الحمامة، يكره الطير الأقفاص والتقييد .. وموطنه الحقيقي هو في التحليق، والطير عند تميم البرغوثي هو رمز يعبر من خلاله عن الشعب الفلسطيني الحر والذي لا يرضى إلا أن يكون حرا ومحلقا في الأعالي

" وفي وسط الشام تغدو السيوف رموز الوداعة

وتغدو الطيور رموز العناد

ألست ترى الطير إن طردوه من العش عاد

وفي وسط الشام طير تفوق في حرفة الهزء من كل سلك حدود

وكاشفة للمعادن أو للنوايا " (البرغوثي، 2008، صفحة 15)

يرمز الطير إلى شعبه العنيد كعناد الطيور، والذي يعود إلى سكنه وأرضه كلما طرد منه، ولا تعيقه في مسيرته أسلاك ولا حدود ولا كاشفات معادن، فالشعب الفلسطيني شعب حر لا يمكن إرضاخه بشتى الوسائل أو ثنيه في مسعاه، بل إنه يسخر من أعدائه ويهزأ بهم كما تهزأ الطيور من أسلاك الحدود وهي تعبره.

3-2 الحمامة: الحمامة رمز للسلام بأجنحتها المفرودة البيضاء وبغصن الزيتون الذي تحمله في منقارها، وهي تاريخيا باعتبار القصة التي حدثت للنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق رضي الله عنه أيام اختبئا في الغار رمز للحماية، إذ تقول الحمامة للعنكبوت عن أصحاب الغار:

"سنحمي الغريبين من كل سيف * بريش الحمام وأوهى البيوت

سنبني المآذن في المشرقين * بخبز رفيع وخبز فتيت" (البرغوثي، 2008، صفحة 53)

تغدوا الحمامة رمزا للحماية وهي بذلك تحقق السلام، وبدون سلام لا يمكن أن تبنى المآذن ولا الأوطان، فالشاعر استعمل الحمامة رمزا ينشد من خلاله رغبته في السلام الذي من خلاله تبنى الأوطان، فلا وطن للمحتلين الذين كل أيامهم حرب وخوف وهلع .

غير أن الشاعر يعود ويستدرك في قصيدة أخرى عنونها ب " أمر طبيعي " فيقول:

"فلن تحرس الغار الجديد حمامة * ولا من خيوط العنكبوت له ستر

أيا أمة في الغار تبغي حماية * من الطير معذور إذا خانك الطير" (البرغوثي، 2008، صفحة 59)

ليبين لنا أن زمن المعجزات والنبوات انتهى، والزمن الآن زمن الاعتماد على النفس للقيام من جديد، فهو يدعو شعبه لعدم الرضوخ والاستكانة .

4-2 السماء: كانت السماء دوما متطلعا لأنظار المتأملين والعاشقين، بتقلب أحوالها وألوانها، وبما يختلف عليها من ليل ونهار، فهي السقف الحاني الذي يظلهم أو يقض هدأتهم، وهي الصفحة الزرقاء الصافية أو المشوبة بالغيم، أو شديدة السواد أو المزينة بالنجوم، والتي يحاولون أن يقرئوا من خلالها ويصبغوا عليها من مشاعرهم النفسية الخاصة، وسماء العامة تختلف عن سماء الشعراء فالشعراء يرون فيها ما لا يراه غيرهم فيها، ويستلهمون منها ما لا يستطيع غيرهم استلهامه ، فعلاقتهم بها علاقة شاعرية خاصة، يقول شاعرنا في قصيدته (أنا لي سماء كالسماء):

" أنا لي سماء كالسماء صغيرة زرقاء

أحملها على رأسي وأسعى في بلاد الله من حي لحي

هذي سمائي في يدي

فيها الذي تدرون من صفة السماء

فيها علو وانكفاء

وتوافق الضدين من نار وماء

فيها نجوم شاردات كالظباء ... " (البرغوثي، 2008، صفحة 21)

السماء في هذا المقطع سماء خاصة بالشاعر، سماء صغيرة زرقاء يحملها فوق رأسه ويحيطها بيديه، ولها من صفات السماء العلو والانكفاء، فيها النجوم الشاردات، كما أن الأضداد تتوافق فيها .. يقدم لنا الشاعر السماء كرمز مفتوح أمام عملية القراءة والتأويل، فقد تكون السماء التي يعنيها هي عالمه الرحب الواسع، والذي لا يمتلكه عليه عدوه، ولا سلطة له عليه، فالسماء ههنا هي حريته التي لا يمكن أن تستلب، وإن كانت هذه الحرية في نطاق ضيق كما أشار في قوله بأن سماءه صغيرة زرقاء، كذلك فإن عالم الشاعر الرحب لا تتنازعه الأضداد التي أشار إليها بالنار والماء، فقد تعني النار الحرب والظلم والبطش والاستعباد، ويعني

الماء السلم والجريان والحياة، فهو متصالح مع عالمه الذي تكتنفه المتناقضات، وفي هذا دعوة للفلسطينيين والأمة العربية، أن يكونوا أقوياء وأن يكونوا أقدر على تحمل واقعهم حتى يعيشوا وحتى لا يتغلب عليهم أعداؤهم، كما أن السماء رمز للعلو والحرية والشموخ فهي كذلك رمز للجمال والأمن حينما عبر أن نجومها شاردات كالظباء .

وتستطيع أن تكون السماء هذه رمزا أيضا لقبة القدس، فهو يخبرنا ويخبر المغتصبين ويذكرهم أن قبة بيت المقدس عالية كالسماء وجميلة كالظباء، وهم في دنو وفي قبح مهما حاولوا فلن يطردوا الفلسطينيين أو يسلبوها منهم .. ودليل ذلك قوله:

" فيها الطيور تطير دوما للوراء

شوقا إلى الأرض التي غادرتها لا إلى الأرض التي تمضي إليها... " (البرغوثي، 2008، صفحة 21)

السماء رمز للرحابة والفسحة التي ينشدها الشاعر ويستعين بها في مقاومة المحتلين والظالمين، يبث عبرها همومه وينفس من خلالها عن كروبه وأحزانه، حتى أنه يخاطبها فيقول:

قبلي ما بين عينينا اعتذارا يا سماء ...

يا سماء .. أبلغي من في المسجد الأقصى يصلي من نبي أو إمام ...

5-2 الصبح: يرمز الصبح في الشعر العربي للأمل والمواساة وانجلاء الظلمات وانتهاء الأحزان، ورمز الصبح قديم قدم الشعر، يقول امرؤ القيس في معلقته:

(ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي * بصبح وما الإصباح منك بأمثل)

فالليل الطويل بوطأته والذي هو رمز لوطأة الهموم والأحزان والشدائد يكشفه صبح الأمل فتزول هذه الهموم، ولم تختلف رمزية الصبح عند الشاعر

تميم البرغوثي عن رمزيته عند غيره من الشعراء القدماء إذ يقول في قصيدته (أمر طبيعي):

" يا أمة في الغار ما حتم علينا أن نحب ظلامه

إني رأيت الصبح يلبس زي أطفال المدارس حاملا أقلامه

ويدور ما بين الشوارع، باحثا عن شاعر يلقي إليه كلامه

ليذيعه للكون في أفق تلون بالنداوة واللهب

يا أمتي يا ظبية في الغار قومي وانظري

الصبح تلميذ لأشعار العرب " (البرغوثي، 2008، صفحة 60)

فالغار الذي فيه أمة الشاعر رمز للضيق والاختناق والانزواء والخوف وذلك بسبب عدوان المحتل، فيجعل الشاعر الصبح كرمز للأمل والنصر، وهذا الأمل الذي رمز له بالصبح أمل يلبس زي الأطفال، فلا قوة لنا ضد المحتلين إن لم نتسلح بالأمل والتفاؤل، والذي هو يدور ما بين الشوارع كما أخبرنا باحثا عن شعراء يقرؤونه وينظمونه لدعم الناس، ثم يصور لنا الشاعر الصبح أي رمز الأمل والخير بأنه تلميذ لأشعار العرب كناية على أن أشعار العرب تحفل بالكثير من صور الأمل الذي هو دافع لنهضة الشعوب وقيامهم ضد أعدائهم . إذن فالشاعر يدعو إلى مجابهة العدوان بالأمل الذي يحاول بثه والتذكير به في صفوف أمته، كي لا تتراخى هذه الأمة وتيأس .

ويمدح الشاعر حسن نصر الله فيقول:

"من آل بيت الرسول يا حسنُ * من لو وزنت الدنيا بهم وزنوا

جزيت خيرا عن أمة وهنت * فقلت لا بأس ما بكم وهنُ

ليذكر الصبح أنه نفس * ويذكر الليل أنه سكن" (البرغوثي، 2008، صفحة 78)

في هذه الأبيات يقول الشاعر بأن حسن نصر الله هو الأمل والانجلاء للكرب حتى إنه ليذكر الصبح إن نسي أنه نفس أي مصدر للحياة والتجدد، نجد الشاعر من خلال استعماله لرمز الصبح أنه شاعر متفائل لا تخلو روحه من الأمل، وهو يبث الأمل في نفوس إخوانه ذلك أن شعبا بلا أمل هو شعب ميت لا يمكن أن يرد العدوان عنه، كما أن حياة بلا صبح هي حياة مظلمة كئيبة .

6-2 الليل: تراوح الليل في دلالاته في الشعر بين كونه سكنا ولباسا قال تعالى " وجعلنا الليل لباسا " وبين كون ظلامه رمزا للوحدة وطول الأحزان واستمرار الشدائد التي لا تنجلي إلا بصبح يضع نهاية للكرب، فخاطبه الشاعر القديم فقال:

"وليل كموج البحر أرخى سدوله * علي بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي * بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فيا لك من ليل كأن نجومه * بأمراس كتان إلى صم جندل " (الزوزني، 1993)

فالليل رمز كما ذكرنا للهم والحزن الذين يجعلان من الليل طويلا كأنه لا يريد الانتهاء، فهل تتفق دلالة الليل عند تميم البرغوثي مع دلالته عند سابقيه من الشعراء ؟ يقول:

" وامتدت اليد إلى السماء، متعدية أربعة عشر قرنا،

ونزعت الليل عنها برفق، نزعك الضماد أو اللثام

فإذا تحته ليل آخر.. فنزعته أيضا

وهكذا ليلا بعد ليل،

كأنها تقلب صفحات من كتاب ... " (البرغوثي، 2008، صفحة 79)

نجد في هذه الأسطر الشعرية أن استعمال الشاعر لرمز الليل دلالة على الظلم والطغيان لا يختلف في استعماله الدلالي عند سابقيه من الشعراء

القدماء، فالليل ههنا رمز للطغيان والظلم الذي يحل بالمسلمين منذ أربعة عشر قرنا، وكلما حاولت الأيادي أي الجهود أن تتخلص من هذا الظلم والطغيان كلما وجدت ظلما وطغيانا آخر، كقلبك الصفحة من الكتاب لتجد صفحة أخرى وهكذا دواليك ...

يخاطب الشاعر حسن نصر الله وهو يمدحه فيقول:

" وأنت رددت الناس ناسا فأصبحوا * وكانوا بليل ليس يصبح سرمد

" (البرغوثي، 2008، صفحة 79)

إن حسن نصر الله حسب قول الشاعر قد أعاد للفلسطينيين والعرب كرامتهم وعزتهم بعد أن استباحها الأعداء، وجعلهم أناسا، وقد جعل الشاعر الليل رمزا للمهانة والاعتداء والظلم الذي كان الناس فيه قبل حسن نصر الله .

وفي مقطوعة أخرى لا تفك عن الليل رمزية السواد والبؤس يقول الشاعر:

ولتنا ليال ليس يحفظ جارها * ونار أسى نار الجحيم شرارها

يفرق ما بين الرجال اختبارها *وتعظم في عين الصغير صغارها

وتصغر في عين العظيم العظائم

فالليالي التي جاءتهم رمز للغدر الذي يحدث للشعب الفلسطيني من طرف المحتل الغاصب، ليال ظلمها شبيه بالنار، ليال تفرق بين الناس . إذن ومما سبق فإن الليل رمز للظلم والقهر الذي أحدثه الغاصبون في وطن الشاعر، والصبح رمز لتجلي هذا الظلم والقهر.

3- خاتمة:

– إن للسياسة انعكاساتها على عالم الأدب، بوصف الأدب يتأثر بقضايا محيطه ويرتبط بها، وكان للشعر السياسي دوره الأساس في رصد انعكاسات هذه السياسة على الواقع وبلورة ردات فعله تجاهها من خلال أسلوب قوامه الفن والجمال .

– الشعر السياسي لا يتناول السياسة من منطلق سياسي فهذا من فعل السياسيين وإنما يتناولها من خلال الفعل الإبداعي الذي يهدف لبناء واقع أكثر حرية وصحية .

– الشعر في حد ذاته كفعل إبداعي هو سياسة لأنه ينبني على موقف فكري محدد، ويكون أداة لكسر القيود والهروب من بطش السلطة .

– للرمز دوره في استكناه خبايا النفس بما له من قدرة على الإيغال والكشف ونقل الشحنات النفسية المعقدة والتي لا تقدر اللغة العادية على نقلها .

– يتعدد استعمال الرموز في شعر تميم البرغوثي (التاريخية، والدينية، والتراثية، والأسطورية، والطبيعية ...) ويحتل توظيف الرمز الطبيعي مكانة بارزة في شعره السياسي .

– يخلع تميم البرغوثي على الرموز الطبيعية من عواطفه ويشحنها فتتنوع دلالاتها وتتعدد أبعادها .

– يستنهض الشاعر الرموز الطبيعية ويجيشها لتقوم ضد المحتل وليكون لها دور في هذا الصراع القائم بين الفلسطينيين وأعداء الحياة .

– توحي كثرة توظيف الرموز الطبيعية بالارتباط الشديد بين الشاعر وأرضه .

– تنوعت الرموز الطبيعية التي وظفها الشاعر (الغزال – الطير – الحمامة – السماء – الصبح – الليل ...) ولم يخرج الشاعر في دائرة توظيفها عن دلالات التوظيف الشائع لها .

– ارتبطت الرموز الطبيعية بالجانب السياسي فالليل مثلا رمز للمحتل الغاشم والصبح رمز للأمل الذي يبثه الشاعر من أجل الخلاص من هذا المحتل .

المصادر والمراجع

21:05,). ت.-a.-1.-2. (2018, 07 11). *youtu.be*. Consulté le 10 11, 2022, sur
http://youtu.be /AE9mlT-aFzs: http://youtu.be/AE9mlT- aFzs

إقبال ,ر .(2008) .الرمز الشعري لدى محمود درويش، الرمز الطبيعي نموذجا . *مجلة علامات*.56 ,(62)

البرغوثي ,ت .(2008) .ديوان في القدس .القاهرة: دار الشروق.

الراوي ,ح .(1954) .*الشعر السياسي في العراق الحديث*.بيروت الجامعة الاميركية ,بيروت.

الزوزني ,أ .ع .(1993) .شرح المعلقات السبع .مصر :الدار العالمية .

السعيد ,أ .ع .(1998) .المعجم السياسي الحديث .بيروت :دار ابن حزم.

الوائلي ,إ .(1996) .الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر .بغداد : مطبعة العاني.

جلايلية ,س .(2011) .*الإيديولوجي والجمالي دراسة بنيوية تكوينية في روايتي اليتيم والغريق لعبد الله العروي*.أم البواقي ,جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي.

زايد ,ع .ع .(1997) .استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر . القاهرة :دار الفكر العربي.

هلال ,م .غ .(1994) .الأدب المقارن .دار العودة.